مجلة "مدارات في اللّغة والأدب" الصادرة عن مركز مدارات للدراسات والأبحاث، تبسة–الجزائر.

المجلد:01.العـدد:03. السنة: 2019 ص 272– 296
ISSN 2661-765x

الإرهاب الأصوليّ في رواية تيميمون لرشيد بوجدرة: ومضات متناثرة

*د.غنيّة بوحويّة

جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر.

البريد الالكتروني: ghaniabohuia@gmail.com

ملخص البحث

سنرصد في هذا المقال مواطن تجلي الإرهاب الأصوليّ في رواية (تيميمون) للرّوائيّ الجزائريّ رشيد بوجدرة، مع تحديد أهم أشكاله.

الكلمات المفتاحية: التّطرّف، الإرهاب، الأصوليّة، رشيد بوجدرة، تيميمون.

Abstract :

In this article, we will attempt to identify the manifestations of terrorism in the novel Timimoun of the Algerian novelist (Rachid Boujdra).

Keywords: extremism, terrorism, Rachid Boujedra , Timimoun.

الإرهاب أو التّطرّف الدّيني* أو الأصوليّة مسمّيات مختلفة لفعل إجراميّ واحد سواء أكان فرديّا أم جماعيّا، هدفه الإرضاخ عنوة وباستعمال أشكال عديدة للعنف وصولا إلى القتل والإبادة.

* المؤلف المرسل: د. غنية بوحورية ghaniabohuia@gmail.com

*. التّطرّف(Extremism) ظاهرة تكاد تشغل النّاس في مجتمعاتنا وفي مجتمعات أخرى، بما فيها مجتمعات متقدّمة، لأنّها أصبحت لا تهدّد السّلم المجتمعي والحياة العامّة والعلاقات بين النّاس فحسب، بل السلم والأمن الدّوليّين، خصوصا إذا ما تحوّلت من الفكر والتّنظير إلى الفعل والتّنفيذ.

أمّا ظاهرة الإرهاب (Terrorism)فهي من نتائج فعل التّطرّف والتّكفير تلك.

يُنظر: عبد الحسين شعبان: التّطرّف والإرهاب، إشكاليّات نظريّة وتحدّيات عمليّة(مع إشارة خاصة إلى العراق)، مكتبة الإسكندريّة، مصر، برنامج الدّراسات الاستراتيجيّة، وحدة الدّراسات المستقبليّة، 2017، ص11.

لم يُغفل الأدب العربيّ الإبداعيّ شعرا أو نثرًا هذه القضيّة، بل يجد الباحث في ثنايا الخطابات الأدبيّة العديد من أشكال التّطرّف الدّينيّ، على اختلاف نسب الإفصاح عنه، وتحديد متعلّقاته.

وقع اختيارنا على رواية" تيميمون" لرشيد بوجدرة. هذه الرّواية التي اتّخذت من صحراء الجزائر فضاء لأحداثها، فنجدها تحيل على الزّمن الحاضر المستمرّ في الماضي عبر شريط الذّكريات، كما تعود بالقارئ إلى الماضي من خلال استرجاع البطل لمختلف الأحداث التي عاشها والتي تعرّض لها وطنه من قتل العديد من الأعلام المعروفين، واستهداف مراكز معيّنة من مدارس وغيرها.

1. التّطرّف الدّينيّ: مفهومه، أشكاله...

يعدّ التّطرّف الدّينيّ من الظّواهر التي عانت منها المجتمعات العربيّة، وذاقت مرارتها على اختلاف الأزمان وتعدّد الأماكن، إنّها ظاهرة قديمة حديثة، يُقصد به مجاوزة الحدّ بالإفراط أو التّفريط. أمّا الإفراط فهو الغلوّ في القول أو الفعل، وأمّا التّفريط؛ فهو التّضييع وتعدّي حدود الله ويكون بارتكاب المنكرات، والإفساد في الأرض، وإشاعة الفاحشة، وغير ذلك من المحرّمات.[1]

استُعمل هذا المصطلح في المقام الأوّل" للدّلالة على معارضة العرف الاجتماعيّ العامّ، أو الشّرعيّة الوضعيّة القائمة باسم الإسلام، مهما بلغت درجة المخالفة في هذا العرف العامّ أو الأوضاع السّائدة للثّوابت الإسلاميّة".[2]

لقد تعدّدت مفاهيمه والتي نذكر منها[3]:

- التّطرّف هو الخروج عن القيم والمعايير والعادات الشّائعة في المجتمع، وتبنّي قيمٍ ومعاييرَ مخالفة.
- التّطرّف هو اتّخاذ الفرد أو الجماعة موقفا متشدّدًا إزاء فكر أو إيديولوجية في قضيّة ما، أو محاولة خلق نوع من التّعصّب الدّينيّ في بيئة الفرد أو الجماعة.

---

[1]. جاد الحق علي جاد الحق: التّطرّف الدّينيّ وأبعاده. أمنيّا وسياسيّا واجتماعيّا، دار أم القرى للطّباعة، ص3.

[2]. صلاح الصّاوي: التّطرّف الدّينيّ الرأي الآخر، الآفاق الدّوليّة للإعلام، القاهرة، مصر، ص3.

[3]. إسماعيل صديق عثمان: التّطرّف والتّعصّب الدّينيّ، أسبابه والعوامل المؤدّية إليه، المجلّة الليبيّة العالميّة، جامعة بنغازي، ليبيا، العدد: 28، سبتمبر 2017، ص3.

يشمل التّطرّف قارّاتٍ وبلدانًا متنوّعة ومختلفة" من الباكستان والهند وأفغانستان وتركيا إلى العراق وسوريا ولبنان والأردن والمملكة العربيّة السّعوديّة والكويت واليمن وصولا إلى السّودان ومصر والمغرب وليبيا وتونس والجزائر وموريتانيا ومالي ونيجيريا، حتى الشّيشان وروسيا واليونان وأوكرانيا وأندونيسيا وإسبانيا وألمانيا وبريطانيا وفرنسا والولايات المتّحدة وغيرها".[1]

وعلى الرّغم من ارتفاع الأمن بأنواعه لم يتراجع، بل أخذ في التّزايد بحكم انتشار الأفكار المتطرّفة والتّكفيريّة، ويستوي في ذلك البلدان المتقدّمة والبلدان النّامية" لأنّ العولمة جعلت الإرهاب معولمًا".[2]

2. رشيد بوجدرة(نبذة مختصرة من حياته)

ولد رشيد بوجدرة عام 1941 في مدينة عين البيضاء/ الجزائر.

تلقى تعليمه الابتدائي في مدينة قسنطينة، تخرج في المدرسة الصادقية في تونس. وفي جامعة السوربون – قسم الفلسفة.

بعد استقلال الجزائر سنة1962 انضم إلى الحزب الشّيوعيّ الجزائري أقام في باريس من 1969 إلى غاية 1972 وبالرباط من 1972 إلى غاية 1974 حيث عاد إلى الجزائر.

عمل في التعليم وتقلّد مناصب كثيرة، منها أمين عام لرابطة حقوق الإنسان، وفي سنة 1987 انتخب أميناً عامًّا لاتحاد الكتاب الجزائريين لمدة ثلاث سنوات.

وعند اندلاع العشريّة السّوداء في الجزائر ذهب رشيد بوجدرة إلى تيميمون وبقي فيها سبع سنوات لهدوئها وبعدها عن مناطق الاضطرابات.

---

[1]. عبد الحسين شعبان: التّطرّف والإرهاب، إشكاليّات نظريّة وتحدّيات عمليّة(مع إشارة خاصة إلى العراق)، ص12.

[2]. عبد الحسين شعبان: التّطرّف والإرهاب، إشكاليّات نظريّة وتحدّيات عمليّة(مع إشارة خاصة إلى العراق)، ص12.

وهو محاضر في كبريات الجامعات الغربية في اليابان والولايات المتحدة الأميركية. حائز على جوائز كثيرة من إسبانيا وألمانيا وإيطاليا.

من مؤلّفاته:

- من أجل إغلاق نوافذ الحلم، 1981، (شعر).
- ألف عام وعام من الحنين، 1981، (رواية).
- الإنكار، 1984، (رواية).
- الرَّعن، 1984، (رواية).
- يوميّات فلسطينيّة(يوميّات)
- طبوغرافية مثاليّة لاعتداء موصوف، 1983،(رواية).
- الإراثة، 1983، (رواية).
- الحلزون العنيد، 1985، (رواية).
- ضربة جزاء، 1985، (رواية).
- التّفكّك، (رواية).
- المرث، 1984، (رواية).
- لقاح، 1983، (شعر).
- يوميّات امرأة آرق، 1985، (رواية).
- معركة الزّقاق، 1986، (رواية).

- فوضى الأشياء، 1990، (رواية).
- حقد الـ FIS، (مراسلات).
- رسائل من الجزائر(بيان)
- الشّرق في الفنّ التّشكيليّ(دراسة)
- واقعة اغتيال ياماها مع فوز الـCRB(رواية)
- الانبهار(رواية)

3. رواية(تيميمون): محتوى ومضمون

الشّخصيّات:

الرّئيسيّة:

- البطل الذي لم يُذكر اسمه.
- صرّاء: السّائحة التي شغفته حبّا

الثّانويّة:

- ركّاب الحافلة
- صاحب الحافلة الذي اشتراها منه.
- الوالد
- الأم
- الأخ الذي فوّت درج التراموای فدعسه.
- كمال رايس(صديقه)

- هنري كوهين(صديقه)
- جان كوهين(أخت هنري كوهين)
- سليمة مالكي
- العمّة فاطمة: العجوز التي كانت تعمل في منزلهم.
- إخوته ذكر منهم سعيدة التي هي أصغر البنات، ومهدي أصغرهم سنا
- الزّنجيّ عشيق صرّاء.

المضمون:

دارت أحداث هذه الرّواية في إحدى الصّحاري الجزائريّة؛ وهي واحة تيميمون.

بطلها رجل أربعينيّ كان يخاف النّساء ويشمئزّ منهنّ، فلم يقِم أيّة علاقة عاطفيّة أو جنسيّة، فقدَ أخاه الأكبر في حادث من حوادث المرور بتفويته درجة الترامواي.

أدمن شرب الخمرة منذ المراهقة، تسلّل داخل نوادي الطّيران بمساعدة حارسها، فمهر في قيادة الطّائرات النّفّاثة والمطاردة مدّة عشر سنوات حتى طُرد من الجيش لتصرّفاته الجنونيّة، فكان يسرق من حين لآخر طائرة ويطير بها إلى مدينة الدّار البيضاء أو بروكسيل أو جنيف أو باريس، لا لشيء سوى لمقارعة الكحول في حاناتها الفخمة، وكان يرسل إلى أبيه بطاقات بريديّة من تلك العواصم لاستفزازه والانتقام منه.

عمل دليلا سياحيّا بعد طرده من عمله، فاتّخذ من الصّحراء وجهة؛ إذ صار يقود ما يقارب الخمسين سائحا عدّة مرّات في السّنة لزيارة الصّحراء على ظهر حافلته القديمة(شطط) التي اشتراها من جنيف بثمن بخس، وهو بهذا العمل وهذه الوجهة يأمل في الهروب من واقعه المرير، بعيدًا عن غطرسة الإرهاب، ولنسيان العديد من الأمور التي كانت تخيفه وتعكّر صفو حياته.

وقع في شَراك الحبّ لأوّل مرّة في حياته بعد أن بلغ الأربعين من العمر، فلا يني يلتقط الصّور لتلك الفتاة التي سمّاها كما يقول(صرّاء)؛ التي صارت سببا أساسا في همومه وتيهه، لما يحسّ به من غيرة من عشيقها العازف الأسمر البشرة.

لكنّ هذا العشق لم يدم طويلا.. فقد رجع إلى أصله، وللم فُتات ذاته التي نحت منحى مخالفا لما كانت عليه، فختم روايته بقوله:" وبانت لي صرّاء وكأنّها مصقعة. تلوّن وجهها بلون كابٍ[1]، وفجأة ظهرت لي قبيحة الوجه. كالميتة، بالنسبة إليّ الآن".[2]

4. تجلّيات التّطرّف الدّينيّ في رواية(تيميمون):

عمد الرّوائيّ رشيد بوجدرة إلى الإشارة إلى الإرهاب والتّطرّف في ثنايا روايته. هذه الرّواية التي تزامنت وانتشار الإرهاب في الجزائر وقت التّسعينيّات، ولم يك الوحيد الذي نحا هذا المنحى وإنّما كان هذا دأب العديد من الرّوائيّين الذين تعلّقت كتاباتهم بالرّاهن الجزائريّ المأساويّ إلى أبعد الحدود؛ إذ كان هذا الرّاهن صادما للعقل والحسّ والمنطق والقيم.[3]

فالجزائر كغيرها من الدّول التي عانت الأمرّين. مرار الاستعمار ومرار الإرهاب الذي خلّفه التّطرّف الدّينيّ، وقد أشار الباحث عبد الحسين شعبان في كتابه: التّطرّف والإهاب إلى أنّ يد الإرهاب قد طالت العديد من البلدان، وألحقت أعمالهم الشّنيعة الضرر بشعوبها قائلا:" وإذا كانت منطقتنا وأممنا وشعوبنا الأكثر اتّهاما بالتّطرّف فإنّها الأكثر تضرّرا منه؛ حيث دفعت الثّمن لعدّة

[1]. الكابي: التّراب الذي لا يستقرّ على وجه الأرض، والكابي: الفحم الذي خمدت ناره، ونار كابية: غطّاها الرّماد والجمر تحتها. يُنظر: لسان العرب لابن منظور، مادة (ك ب ي).

[2]. رشيد بوجدرة: تيميمون، المؤسّسة الوطنيّة للاتّصال والنّشر والإشهار(ANEP)، الجزائر، ط2، 2002، ص107.

[3]. عبد الله شطّاح: الرّواية الجزائريّة التّسعينيّة، كتابة المحنة أم محنة الكتابة، مجلّة تبيّن للدّراسات الفكريّة والثّقافيّة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات، العدد 6، 2016، ص2.

مرّات ولعدّة أضعاف جرّاء تفشّي هذه الظّاهرة، الأمر الذي لا ينبغي إلباس المنطقة ثوب التّطرّف تعسّفًا أو إلصاق تهمة الإرهاب بالعرب والمسلمين بشكل خاصّ، باعتبار أنّ دينهم أو تاريخهم يحضّ على التّطرّف والإرهاب، علما أنّ المنطقة تعايشت فيها الأديان والقوميّات والسّلالات المختلفة."[1]

لكن السّؤال المطروح هنا: كيف وظّف بوجدرة ظاهرة التّطرّف في روايته؟

كانت أوّل إشارة لهذا الموضوع في الصّفحة العشرين إذ يقول:" **أفتح المذياع لأنسى عطشي وأستمع إلى الأخبار:**

اغتيل الأستاذ ابن سعيد هذا الصّباح على السّاعة الثّامنة بمنزله من طرف عصابة إرهابيّة من الإسلاميّين، وقد حدث ذلك بمرأى من ابنته البالغة عشرين عامًا

أغلقت المذياع بسرعة"[2]

عمد إلى نقل عناوين الصّحف اليوميّة أو عناوين الأخبار التي يسمعها من المذياع، وذلك فيما يقارب الاثني عشر موضعا مختلفا من الرّواية، فلم يكن يتعمّق في الحديث عن الخبر وإنّما ينقله نقلا سطحيّا، فتجده يستأنف سرد أحداث رحلته متهرّبا من الموضوع، مبرّرا بين الفينة والأخرى عدم خوفه من الإرهاب، وأنّ اتّخاذه الصّحراء وجهة ليس هروبا من الإرهابيّين الذين استقرّوا في المدن الكبرى. يقول:" لكن لا أريد أن تفكّر صرّاءُ ولو برهة من الزّمن أني أهرب هكذا من الإرهابيّين الذين اتّخذوا من المدن الكبرى مأوى لهم. لا أبدا، لعلّها تظنّ أنّ شغلي هذا في ميدان

[1]. عبد الحسين شعبان: التّطرّف والإرهاب، إشكاليّات نظريّة وتحدّيات عمليّة(مع إشارة خاصة إلى العراق)، مكتبة الإسكندريّة، مصر، برنامج الدّراسات الاستراتيجيّة، وحدة الدّراسات المستقبليّة، 2017، ص7.

[2]. رشيد بوجدرة: تيميمون، ص20.

السّياحة هو طريقة مخفيّة للهروب إلى الأمام. أبدا، خاصّة وأنّني اشتريت هذه الحافلة العتيقة وبدأت أتسوّح مع زبائني منذ فترة طويلة قبل أن تسقط بلادي في هلع الإرهاب الدّمويّ".[1]

- **اغتيال الأستاذ بن سعيد:**

أورد الرّوائيّ بوجدرة نبأ وفاة الأستاذ(بن سعيد) في ثلاثة مواضع: **الأوّل** منها كان وقت فتحه المذياع محاولا نسيان العطش الذي أصابه وهو يتصارع مع ذكريات مراهقته، أين صار يشعر بالضّياع والهلاك من خلال عائلته ومن خلال مدينته قسنطينة بمتاهاتها ومنعرجاتها وأزقّتها:

" اغتيل الأستاذ ابن سعيد هذا الصّباح على السّاعة الثّامنة بمنزله من طرف عصابة إرهابيّة من الإسلاميّين، وقد حدث ذلك بمرأى من ابنته البالغة عشرين عامًا

أغلقت المذياع بسرعة"[2]

أمّا الموضع **الثّاني**، فقد توسط تعبيرَه عن الاشمئزاز من النّساء ومن قربهن وملامستهنّ، وتفضيله للخمر عليهنّ، وكأنّه يذكّر بهذا الحادث الأليم، مع تغيير زمن الاغتيال.

" الأستاذ بن سعيد يُغتال هذا الصّباح في بيته على السّاعة الثّامنة والنّصف، بمشهد من ابنته البِكر"[3].

وبعد الحديث عن أمور كثيرة يعود إلى موضوع الاغتيال في الموضع **الثّالث** قائلا:

[1]. رشيد بوجدرة: تيميمون، ص32.

[2]. رشيد بوجدرة: تيميمون، ص20.

[3]. رشيد بوجدرة: تيميمون، ص25.

" نسيت رغبتي في شرب كأس فودكا لأنّني استغربت ردّ فعل صرّاء عندما سمعت خبر اغتيال الأستاذ ابن سعيد وهو من أكبر اختصاصيي أمراض الأطفال. اشتُهر بتفانيه ونزاهته واستقامته، ولقد قُتل الرّجل ذبحًا من طَرف عصابة إرهابيّة مكوّنة من شبّان متعصّبين ومدمنين على تدخين الحشيش.

اغتيل المسكين أمام ابنته البكر على طريقة الأصوليّين الذين يذبحون الأشخاص في قعر ديارهم وأمام ذويهم، ويستأصلون الأعضاء الحيويّة عضوًا عضوًا، ويستلخون الجثث، ويسفكون الدّماء الزّكيّة هكذا، باسم الدّين البريء منهم، ومن تصرّفاتهم الجنونيّة والشّنعاء، لا لشيء سوى للحصول على السّلطة السّياسيّة. لماذا بكت صرّاء كل هذا البكاء عندما سمعت الخبر المؤلم؟ هل اغتاضت لاغتيال رجل بريء كرّس حياته لخدمة الأطفال؟"[1]

تجاوز في هذا الموضع حدود نقل الخبر وإعادته إلى إزالة الغشاوة عن أعين القرّاء ليعّرف بشخصيّة(بن سعيد) الذي تمّ اغتياله قائلا بأنّه من أكبر اختصاصيّي أمراض الأطفال، ولم يكتف بذلك بل بيّن بعض ما تميّز به هذا الطّبيب من مثل التّفاني في العمل والنّزاهة والاستقامة والبراءة.

وبعد التّعريف بهذه الشّخصيّة عرّج إلى عرض طريقة الاغتيال(ذبحًا)، ووصف للمجموعة الإرهابيّة ذاكرا أنّها تتكوّن من شبّان متعصّبين ومدمنين على تدخين الحشيش.

[1]. رشيد بوجدرة: تيميمون، ص30.

هذه العصابة الإرهابيّة التي تذبح على طريقة الأصوليّين. هنا.. يشرح ويوضّح: الذين يذبحون الأشخاص في عُقر[1] ديارهم وأمام أهاليهم، ويستأصلون الأعضاء الحيويّة عضوا عضوًا، ويسلخون الجثث، ويسفكون الدّماء، بغية الحصول على السلطة السياسيّة.

لم يصف حاله ولا تأثّره بهذا الخبر، بل عبّر عن سوء حاله بتصرّفات قام بها تنمّ عن شدّة تأثّره، منها:

- إعادته الخبر أكثر من مرّة.
- مسارعته إلى غلق المذياع فور سماع الخبر.

استئنافه الموضوع الذي كان بصدد عرضه متهرّبا من الواقع المرير كما في قوله" ... ومهما يكن .. مرّة يأخذني الشّوق نحو امرأة"[2]

إنّ ما يلفت الانتباه أيضا تركيز البطل على ردّ فعل(صرّاء) من جرائم الإرهابيّين الأصوليّين؛ إذ استغرب من تململها وكثرة تحرّكها عند سماع الخبر المهول الذي جاء في مقدّمة النّشرة. يقول:" رأيت أن عينيها تفيضان دموعا حارّة... كانت الدّموع تتدفّق وتنبجس بغزارة وتبلّل وجهها بطريقة مؤثّرة ورهيبة... أمّا الدّموع فلا زالت تسيل سيلا مدرارا فتتعلّق القطرات على وجنتيها ومقلتيها وجفنيها، وقد بقي بعضها متدلّيا على مستوى هذه البقعة المركزيّة من ذقنها"[3].

[1]. المذكور في الرّواية(قعر ديارهم) لكن الأصح: عُقر ديارهم؛ لأنّ العُقر في اللّغة أصل كلّ شيء، والعُقر من الدّار وسطها. ينظر لسان العرب، مادة(ع ق ر).

[2]. رشيد بوجدرة: تيميمون، ص30.

[3]. رشيد بوجدرة: تيميمون، ص21.

لم يذكر ردّ فعل أيّ راكب آخر ولم يصف حاله آن تلقّيهم هذا الخبر الفضيع.. اكتفى بصرّاء مترصّدا حركاتها وسكناتها، من خلال المرآة الارتداديّة.

وعند إنهائه الحديث عن حادثة اغتيال(بن سعيد) ووصف أعمال الأصوليّين المتوحّشة يتساءل:" لماذا بكت صرّاء كل هذا البكاء عندما سمعت الخبر المؤلم؟ هل اغتاضت لاغتيال رجل بريء كرّس حياته لخدمة الأطفال؟"[1]

صرّاء هي الفتاة السّائحة التي أحبّها بطل الرّواية بعد أن كان يتقزّز من النّساء لدرجة أنه بلغ سنّ الأربعين ولم يحبّ فتاة. هذا الرّجل الذي كان يصف نفسه بالخنثى. الذي لم تتحرّك مشاعره يوما ولا رغبته الجنسيّة، والذي فكّر في قطع قضيبه الذي لا فائدة منه تُرتجى.

اختار هذا الاسم للفتاة التي سلبت لبّه وملكت قبله، دون أن يدري بالضّبط إذا كان هذا اسمها الحقيقيّ أو لا[2]؟ فهل هذه الفتاة حقيقيّة؟... هل هي من الجنس البشريّ؟.. وهل هي المشاركة فعلا في الأحداث بفعلها وقولها وجمالها ورقصها وشربها وحنانها وقسوتها...؟

مذ وقعت عيني على هذا الاسم(صرّاء) قرنتُه بالصّحراء لتشاكلهما في المبنى، ثم وجدت في ثنايا الرّواية أنّ بوجدرة شاركني الرّؤية(البلاهة والتّلاعب والسّخافة). يقول محدّثا صرّاء:" اسمك صرّاء، وهو يشبه كلمة صحراء. لم تردّ عليّ اغتضت منها ومن بلاهتي التي أجبرتني على أن أتلاعب بالكلمات بطريقة سخيفة".[3]

[1]. رشيد بوجدرة: تيميمون، ص30.

[2]. رشيد بوجدرة: تيميمون، ص14.

[3]. رشيد بوجدرة: تيميمون، ص50.

صرّاء هي الصّحراء التي أحبّها البطل، وبها تغيّرت نظرته إلى أمور كثيرة. هي التي جعلته يتخلّى عن إدمانه للفودكا حتى ينال إعجابها، وهي التي فتحت ذراعيها واحتضنت صباه وهو في الأربعين من العمر، هي التي أضحكته وأبكته، وسرّته بإقبالها، وأحزنته بإدبارها... إنّها صورة طبق الأصل للصّحراء.. إن لم تكن الصّحراء نفسها..

فإذا ما ربطنا بين صراء والإرهاب والصّحراء، وجدنا أنّ صرّاء هي النسخة الحيّة من الصّحراء؛ التي يتسنى لها إظهار مشاعرها(البكاء والحزن والتّأثر بالاغتيال).

الصّحراء التي لم تكن مركزا للإرهابيّين لأسباب عديدة ومتباينة أوّلها قلّة ساكنيها، وعدم احتوائها على المرافق السياسيّة الكبرى...

فبكاء صرّاء ينمّ عن حزن الصّحراء بما حوت عمّا يحدث في باقي الجزائر من ولايات كبرى أين تمركز هؤلاء المتطرّفون.

- **اغتيال صحافيّ فرنسيّ:**

الخبر الثّاني الذي نبّأ به الرّوائيّ بعد اغتيال الطبيب العربيّ المختصّ في أمراض الأطفال (الأستاذ بن سعيد)، هو اغتيال الصّحافيّ الفرنسيّ في العاصمة. يذكر الخبر قائلا:

" صحافيّ فرنسيّ يُغتال من طرف إرهابيّين إسلاميّين بالقصبة. في الجزائر العاصمة" [1]

لم يرد هذا الخبر في الصّحف ولم يُسمع من المذياع.. بل الأجدر القول: لم يسند الكاتب هذا الخبر ولم يعلم المتلقّين بالمصدر.

[1]. رشيد بوجدرة: تيميمون، ص54.

اكتفى فيه بالتّحدّث عن مؤشّرات القضيّة:

- الجنس: ذكر
- العمل: صحفيّ
- الجنسيّة: فرنسيّة
- المكان: القصبة/ الجزائر العاصمة
- القاتل: إرهابيّون إسلاميّون

ورد هذا الخبر كغيره من أخبار الاغتيال بلون غامق يميّزها عن بقيّة الكلام. كما ورد منقطعا عمّا قبله وعمّا يليه، ومحشوّا ضمن كلام لا يمتّ له بصلة. يقول:

" أمّا الآن، فكلّ السّوّاح نيام: أغتنم الفرصة لتصليح محرّك شطط وقد أهملته منذ أيّام. شطط تلك الحافلة التي اشتريتها بثمن خردلة في مدينة جنيف، ألف فرنك سويسري بالضّبط، وكنت أتقن كل هذه الأعمال الموكّلة إليّ حتى أنسى هاجس الفودكا الذي يمقتني وينغّص عليّ عيشي وحتى أتحصّل على إعجاب صرّاء. لكن دون جدوى.

صحافيّ فرنسيّ يُغتال من طرف إرهابيّين إسلاميّين بالقصبة. في الجزائر العاصمة.

أمّا هوس الصّحراء فقد ابتليت به منذ سنوات قليلة فقط."[1]

هكذا آثر بوجدرة إيراد نبأ اغتيال الصّحفيّ الفرنسيّ، فمن **الحاضر** الذي ذكر فيه الزّمن وحال السّوّاح وماذا كان يفعل: اللّيل/ نيام/ تصليح محرّك الحافلة(شطط)، إلى **الماضي** الذي سافر به عبر الزّمن متذكّرا حافلته التي اشتراها بثمن بخس، ليعود إلى **الحاضر** من جديد ليعلمنا أنّ الأعمال التي يقوم بها كلّها بدءًا من السّياقة والعمل دليلا سياحيّا إلى إتقان تصليح الحافلات وتغيير قطعها

[1]. رشيد بوجدرة: تيميمون، ص53، 54.

وغير ذلك ما هي إلاّ دريعة متّخذة لنسيان الشّرب الذي دمّر حياته، وكذا لينال رضا وإعجاب فتاة أحلامه(صرّاء).

ثمّ يذكر خبر الاغتيال الذي لا نراه إلاّ كلاما منقطعا عما قبله وعمّا يليه، ومحشوًّا بطريقة تشتّت ذهن القارئ، فتجعله نبأً فجائيًّا لا محكيًّا.

- **انفجار قنبلة في مطار الجزائر العاصمة:**

بعد الذّبح والاغتيال يأتي تفجير القنابل، فها هو بوجدرة ينقل في ثنايا روايته فعلا إجراميّا تسبّب فيه الإرهابيّون الأصوليّون في مطار الجزائر العاصمة. يقول:" ... وبعدها جاءني صاحب الفندق بالجرائد اليوميّة التي وصلت بالطّائرة من العاصمة منذ ساعة:

تسبّب انفجار قنبلة وضعها الأصوليّون في مطار الجزائر العاصمة في مجزرة خلّفت تسعة قتلى وأكثر من مائة جريح جلّهم في حالة خطيرة..."[1]

هذا الفعل الإجراميّ فقد جرّاءه تسعة أرواحهم، وتعرّض فيه أكثر من مائة إلى جروح خطيرة قد تودي بحياتهم..

بيّن هذا الخبر أربعة محدّدات أحاطت بالحادثة هي:

- المكان: مطار الجزائر العاصمة
- الفعل الإجراميّ: انفجار قنبلة

[1] رشيد بوجدرة: تيميمون، ص63، 64.

- المجرم المسبب لهذه الحادثة: الأصوليّون
- المخلّفات والخسائر البشريّة: تسعة قتلى وأكثر من مائة جريح.

لكن.. كيف تعامل بطل الرّواية مع هذا الخبر؟ هل أثّر فيه وحرّك مشاعره؟ أو أنّه طوى الموضوع طيًّا فور عرضه كما فعل قبلاً؟

يقول:" صعدت بسرعة إلى غرفتي تقيّأت كلّ الفودكا التي شربتها البارحة. أخذني الغثيان أمام هذه المجزرة الشّنيعة. استلقيت على فراشي ونمت نومًا عميقًا خاليًا من الكوابيس. دام النّهار كلّه."[1]

فور سماع الخبر الذي وصفه بالشّنيع.. صعد بسرعة إلى غرفته بالفندق، فتقيّأ ما شرب من فودكا.. واستلقى على فراشه بعد أن أصابه غثيان بسبب هذا الحادث الجلل...

لكن بإكمالنا الشّقّ الثّاني من كلامه نجده لجأ إلى النّوم العميق الذي دام النّهار كلّه.. وهو نوع آخر من الهروب من الواقع المرير، الذي يصطلح عليه علماء النّفس الموت المؤقّت، حتى وإن كان يبدو ذلك شاذًّا وغير مألوف، إلاّ أنّه سبيل البعض إلى نسيان هموم الدّهر؛ التي قيّدتهم بكبولها، وسيطرت عليهم بمآسيها.

... مهما طال النّوم والذي دام النّهار كلّه.. لا بدّ من النّهوض.. لا بدّ من عودة الهواجس، وعودة الصّدمة التي خلّفها خبر المجزرة. يقول:" وبعد أن استفقت من سباتي العميق بقيت هكذا مستلقيا على فراشي غير قادر على القيام بأدنى حركة، مصدوما بخبر المجزرة التي تسبّب فيها الإرهابيّون الإسلاميّون في مطار العاصمة"[2].

[1] رشيد بوجدرة: تيميمون، ص63، 64.

[2]. رشيد بوجدرة: تيميمون، ص65.

قد يرى بعض الدّارسين أنّ النّوم لا يستعين به إلا الجبان اللامبالي.. لكن لا، فهناك حالات ومواقف يكون فيها المرء عاجزا عن القيام بأيّ فعل يدرأ به الأذى عن غيره، ويدافع به عن موطنه، فلا يكون بمقدوره إلاّ نسيان همومه فيقي- على الأقلّ- نفسه شرّ الهواجس والأفكار التي تدور في ذهنه. هذه الأفكار التي تُخير قواه وتتعب نفسيّته وتوتّر أعصابه، والتي قد تمهّد الطّريق للجنون.

- **اغتيال شغّالة منزليّة رميا بالرّصاص:**

كلّ شيء بحياة بوجدرة الذي عبّر عن حالته من خلال شخصيّة البطل تحوّل إلى دمار، فلا متعة في هذه الحياة ولا سرور، وقد ضاقت بالرّعب الدّائم الصّدور. لقد تحوّلت زقزقة العصافير التي يفترض أنّها تشنّف الأسماع، وتطرب النّفوس إلى التّعبير عن الأحزان والأتراح التي يحملها الضّمير الجمعيّ.. التي يعيشها الشّعب الجزائريّ الصّغير منه والكبير، النّساء منه والرّجال على اختلاف مناطق السّكن. الألم الذي سبّبته المجموعات الإرهابيّة التي تسترّت برداء الإسلام، وهي لا تمتّ إلى الإسلام بصلة.

يقول:" كان يخال لي أن كلّ هذه الزّقزقات والوشوشات المنبثقة من أوكار العصافير ما هي إلاّ ملخّص لبكاء وآهات وأنّات عائلتي ، ليس فقط بل تعاسة وشقاء البشريّة جمعاء، وهي تتخبّط في الحروب والآفات والكوارث والإرهاب مثلما هو الأمر بالنّسبة لبلدي:

شغّالة منزليّة في السّادسة والأربعين من عمرها وأمّ لتسعة أطفال تُغتال رميًا بالرّصاص وهي عائدة إلى بيتها..."[1]

فور حديثه عن معاناة عائلته وعائلات الجزائر أو البشريّة كلّها من حروب وآفات وكوارث وصولا إلى الإرهاب ينقل حادث اغتيال معينة منزليّة تبلغ من العمر ستّة وأربعين عاما رميا بالرّصاص، تاركة تسعة أطفال لا حول لهم ولا قوة بعدها.

يعبّر بوجدرة عن حالته التي تتأزّم يومًا بعد يوم، يحاول النّسيان فلا يستطيع، تحوّلت حياته إلى جحيم من هذا الظّلم الذي طال الأبرياء، ومسّ مختلف شرائح المجتمع. غنيّهم وفقيرهم، قويّهم وضعيفهم، رجالهم ونساؤهم، عالمهم وجاهلهم...

يقول:" وأصبحت حياتي المتعثّرة لا تُطاق، فأرفض كلّ هذا العنف المخيف وهذا الإرهاب المتوحّش، كما تضيق نفسي بكلّ هذه المناورات السّياسيّة والسّرقات الماليّة والمعاملات(المافيوزيّة). فيما كانت عصابات الحشّاشين تفرض وجودها من خلال العنف فلا تقتل إلا المثقّفين الأبرياء والمواطنين البسطاء، بطريقة عشوائيّة وعمياء".[2]

- **اغتيال الكاتب طاهر جعوط:**

لقد تعلّق قلب البطل(صرّاء) الفتاة الفاتنة التي حاول جاهدا التّقرّب منها لكنها صدّت عنه وأعرضت، فلم تعره اهتماما وهو يتأهّب لسرد بعض مغامراته على مسامعها، ولم تأبه لما فعله لجلب انتباهها إذ ابتعد عن شرب الخمور. تلك الفتاة التي اكتشف فيها جانبا جنونيّا مذ بدأت في الشّرب وأدمنت السّهرات والرّقص على إيقاع الامزاد الذي كان يعزف عليه سالب عقلها.

[1]. رشيد بوجدرة: تيميمون، ص70.

[2]. رشيد بوجدرة: تيميمون، ص70.

على الرّغم من كلّ هذا، نجد بطلنا يقف عاجزا أمام طلب صغير من منها. أمرٌ يفترض أن يكون المبادر في طلبه منها كونها عذّبته بعدم اكتراثها به، وإدبارها عن تصرّفاته الصّبيانية التي ما كان ليقوم بها لولا حبّه الشّديد لها.

لقد طلبت منه قبلة فوقف عاجزا أمام طلبها.. والسّبب يوضّحه في قوله:" والمضحك في الأمر أنّني غير قادر حتى على تقبيل صرّاء إذا طلبت مني أن أفعل ذلك، لأنّني لم أُقبّل امرأة ولو مرّة واحدة في حياتي، أبدا. أخاف أن أُدخل عليها الرّعب فأُرهبها إرهابا"[1]

أرهبُها إرهابًا... أخيفها إخافة... أُذعرها ذُعرًا... أقتلها قتلاً...

قد تكون هذه المتلازمات هي التي تتنازع في ذهنه، فبمجرّد قوله(أرهبها إرهابا)، يتذكّر الإرهاب وأفعالهم القاسية التي مزّقت الأفئدة كمدًا، وابيضّت لها العيون حزنا. يقول:

" الكاتب الكبير طاهر جعوط يغتال برصاصتين في رأسه من طرف ثلاثة إرهابيّين وهو يقود ابنتيه إلى المدرسة"[2].

لماذا الإرهاب هنا؟ وما علّة هذا الرّبط؟

إنّ الإرهاب في هذه الرّواية يبيّن وجوده في كلّ آن في ثنايا الذّاكرة، فهو" لم يعمد إلى توظيف الظّاهرة الإرهابيّة على سبيل مسايرة التّيّار الرّوائيّ الجديد، وبمجرّد مواكبة الرّاهن الفجائعيّ، وإنّما الأصحّ أنّ الإرهاب يحضر في الأذهان شئنا أم أبينا"[3].

[1]. رشيد بوجدرة: تيميمون، ص74.

[2]. رشيد بوجدرة: تيميمون، ص74.

[3]. حفناوي بعلي: تحوّلات الخطاب الرّوائيّ الجزائريّ، آفاق التّجديد ومتاهات التّجريب، دار اليازوري العلمية، 2016، ص280.

إنّه بمجرّد قوله: أرهبها بمعنى أخيفها.. تبادر إلى ذهنه الإرهاب الأصوليّ الذي لم يبق ولم يذر.. الذي قتّل وشرّد ودمّر.

لهذا أعلم التلقّي أن يد الإرهابيّين طالت عالم الأدباء، فها هو الكاتب(الطّاهر جعوط) يغتال برصاصتين في رأسه أمام ابنتيه الصغيرتين... يموت وهو في طريقه إلى المدرسة...

لماذا؟ لا جواب ولا يمكن لأحد أن يجيب... فحاملو هذه العقول المتّسخة يفعلون ما يشاؤون، متى يشاؤون، وكيف يشاؤون...

لهذا كان يرى أنّ مجرّد اللّمس قد يؤذي من أحب وعشق، فلم يتجرأ على تقبيلها، ولم يتمكّن من

ذلك حتى وإن كانت هي التي طلبت. يقول:"... أخاف أن أُرهب صرّاء إذن بمجرّد لمس يدها."[1]

- **ذبح اثني عشر كرواتيّا بالقرب من مدينة المديّة:**

بالقرب من مدينة المديّة نتلقّى خبر عمل إجراميّ وحشيّ، والضّحايا كرواتيّون. يقول بوجدرة:

" **اثنا عشر كرواتيّا يُذبحون بطريقة وحشيّة بالقرب من مدينة المديّة...**

.. فأبقى مذهولا بعد قراءة هذا العنوان المنتشر على إحدى الصّحف اليوميّة. أصمد. أرفض أن يطغى عليّ الخوف ويسيطر عليّ الذّعر. أحاول نسيان المقاطع الغنائيّة القديمة وعناوين الصّحف المملوءة بعمليات الإرهاب المتوحّشة. وقد لاحظت أنّ صرّاء ترفض قراءتها.

[1]. رشيد بوجدرة: تيميمون، ص74.

لكن رغم كلّ محاولاتي، أفشل فشلا ذريعا في محو هذه الملزمات، فيختلط الحابل بالنّابل وأبقى هكذا أيّامًا بأكملها أتصارع مع الماضي."[1]

تدمّر كيانه، من هذه الأخبار المتوالية، فحتى النّوم الذي كان يلجأ إليه لينسى همومه، ويصرف به أذى الواقع عن نفسه.. لم يعد نافعا... فالكوابيس عكّرت صفوه. يقول:" كانت قيلولاتي دبقة وقذرة ومزعجة، فيتكرّر نفس الكابوس أثناء نعاسي، فأتخيّل أن مجموعات من الإرهابيّين المتعصّبين تلاحقني وتطاردني"[2].

إنّ الهروب من أماكن تواجد الإرهاب(المدن الكبرى بالجزائر) إلى الصّحراء، والهروب من الواقع إلى الخيال عن طريق النّوم.. لم يجديا نفعا، فالإرهاب طال الأحلام في شكل كوابيس مزعجة مخيفة؛ يرى فيها مجموعات من الإرهابيّين المتعصّبين تلاحقه وتطارده، ولا غرو أنّها حال أغلب الجزائريّين، فإذا كان من في الصّحراء يحمل هذا الإحساس، فكيف حال من يقطن تلك المناطق التي وقعت فيها عمليّات القتل؟ تلك المناطق التي تمركز فيها الإرهاب وعشّشوا فيها وفرّخوا؟

- **إضرام النّار في مدرسة ابتدائيّة بمدينة البليدة:**

إنّها المحطّة الأخيرة التي وقف عندها بوجدرة ذاكرا الإرهاب والتّطرّف وصفا ومخلّفات، وهذه المحطّة كسابقتها كانت الإبادة فيها جماعيّة. لكن للأسف الضّحايا أطفال في عمر الزّهور.. تلاميذ بمدرسة ابتدائيّة بمدينة البليدة. يقول:

[1]. رشيد بوجدرة: تيميمون، ص88.

[2]. رشيد بوجدرة: تيميمون، ص101.

"كنت أشعر بالخزي يحز كرامتي وبالإهانة تضرس بشرتي وقد أتعبتني تلاعبات صرّاء وأرهقتني الأحداث المؤلمة التي كانت تعيشها البلاد من جرّاء الإرهاب الإسلاميّ الرّهيب والأعمى والمتوحّش والضّروس والمخرّب:

الإرهابيّون الإسلاميّون يضرمون النّار في مدرسة ابتدائيّة بمدينة البليدة...

لماذا المدرسة؟ وما ذنب من لا يعرف من الدّنيا إلا القليل؟

المدرسة؟ لأنّها مكان التّعليم، وتحوي المثقّفين، كما تضمّ الأطفال الذين يعدّون سبدًا لما سيُبذر، ذوو القلوب الخالية من الكراهية والحقد والغدر.

قضوا بتفجيرهم هذا على معلم من معالم العلم بما حوى، فقصّوا جذوره من الأعماق.

هنا، يتوقّف بوجدرة قائلا:"...فلا أقدر على استئناف الرّحلة وأوقف الحافلة بسرعة تحت ظلّ إحدى المقابر البربريّة التي يبهرني تقشفها وتريحني بساطتها ويسطو عليّ جمالها، فأسترجع سكينتي وقيروريتي، فأقترب هكذا من الموت والعدم الهنيئين.[1]

الخاتمة:

يتداخل مصطلحا التّطرّف والإرهاب تداخلا كبيرا، لكنّ الأصل أنّ الأولّ يعدّ مسببا للثّاني؛ فالتّطرّف يكون في الفكر أما الإرهاب فتجسيد لهذا الفكر الذي استظل بظل الإسلام، دون وعي، وقد وضّح هذا الفرق الباحث عبد الحسين شعبان في قوله:" يتجاوز الإرهاب حدود التّطرّف، فينتقل من الفكر إلى العمل، فالإرهاب- بالدّرجة الأولى- يعدّ عنفًا جسديّا أو نفسيّا، مادّيًّا أو

[1]. رشيد بوجدرة: تيميمون، ص101، 102.

معنويًّا، ولكن ليس كلّ عنف إرهابًا، خصوصًا إذا ما كان دفاعًا عن النّفس واضطرارا من أجل الحقّ ومقاومة العدوان، وبالمقابل، كل إرهاب تطرّف؛ إذ لا يصبح الشّخص إرهابيًّا إلا إذا كان متطرّفا.[1]

– لم تكن دراستنا لظاهرة الإرهاب في رواية تيميمون الأولى، لكنّها الأعمق إذ أشار إليها الدّكتور حفناوي بعلي في كتابه:" تحوّلات الخطاب الرّوائيّ الجزائريّ"، لكنّها دراسات لم تكن شاملة وإنّما كان إيراد هذه الظّاهرة عامّا دون تفصيل، أو نتائج دون منطلقات. يقول في كتابه: إن أثر الإرهاب في رواية تيميمون" لم يجعلْ منه محرّكا للتاريخ، وإنّما ظاهرة استحوذت على التّفكير، واستفحلت فأصبحت حدثًا عاديّا لا يُستغرب له"[2].

– عرض بوجدرة في رواية تيميمون سبع عمليّات إرهابيّة، فتدرّج في ذكرها تصاعديّا، من الإفراد إلى الجمع؛ إذ استهلّها بذبح طبيب الأطفال، ثم اغتيال الصّحفيّ، ثم تسعة قتلى وما يربو على المائة جريح، ثم اثنا عشر كرواتيّا، ثم المدرسة الابتدائيّة بالبليدة وما حوت، وتخلّل هذا قتل الشّغّالة المنزليّة واغتيال الكاتب الطّاهر جعوط.

– لم يسلم من الأعمال الإجراميّة أحد من سكان المدن الكبرى بالجزائر؛ إذ تنوّعت أماكن الاغتيال.

– عمد الكاتب إلى تنويع المستهدفين في العمليّات الإرهابيّة، من حيث جنسيّاتهم بين العرب(الطبيب الجزائريّ) والفرنسيّين(الصحفيّ)، والكرواتيّين.

– عمد أيضا إلى تبيان أنّ الإرهاب كان مقنّنا أحيانًا، وخبط عشواء أحايين كثيرة، فلم يسلم منه القويّ ولا الضّعيف، ولا الجاهل ولا المتعلّم.

---

[1]. عبد الحسين شعبان: التّطرّف والإرهاب، إشكاليّات نظريّة وتحدّيات عمليّة(مع إشارة خاصة إلى العراق)، ص14.

[2]. حفناوي بعلي: تحوّلات الخطاب الرّوائيّ الجزائريّ، آفاق التّجديد ومتاهات التّجريب، ص280.

شملت هذه القراءة مواطن ذكر الإرهاب في الرّواية، وعملت على الغوص في لججها رابطة اللّاحق بالسّابق، وفاتحة المجال أمام الدّارسين للتّعمّق أكثر، والبحث بمنهج مخالف.

المصادر والمراجع:

- **المصادر:**

1. رشيد بوجدرة: تيميمون، المؤسّسة الوطنيّة للاتّصال والنّشر والإشهار(ANEP)، الجزائر، ط2، 2002.

- **المراجع:**

1. ابن منظور: لسان العرب.

2. إسماعيل صديق عثمان: التّطرّف والتّعصّب الدّينيّ، أسبابه والعوامل المؤدّية إليه، المجلّة الليبيّة العالميّة، جامعة بنغازي، ليبيا، العدد: 28، سبتمبر 2017.

3. جاد الحق علي جاد الحق: التّطرّف الدّينيّ وأبعاده. أمنيّا وسياسيّا واجتماعيّا، دار أم القرى للطّباعة.

4. حفناوي بعلي: تحوّلات الخطاب الرّوائيّ الجزائريّ، آفاق التّجديد ومتاهات التّجريب، دار اليازوري العلمية، 2016.

5. صلاح الصّاوي: التّطرّف الدّينيّ الرأي الآخر، الآفاق الدّوليّة للإعلام، القاهرة، مصر.

6. عبد الحسين شعبان: التّطرّف والإرهاب، إشكاليّات نظريّة وتحدّيات عمليّة(مع إشارة خاصة إلى العراق)، مكتبة الإسكندريّة، مصر، برنامج الدّراسات الاستراتيجيّة، وحدة الدّراسات المستقبليّة، 2017.

7. عبد الله شطّاح: الرّواية الجزائريّة التّسعينيّة، كتابة المحنة أم محنة الكتابة، مجلّة تبيّن للدّراسات الفكريّة والثّقافيّة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات، العدد 6، 2016.